

مسار حياة مفكر إنساني ملتزم⁷



إريك فروم في سن 12 سنة في فرانكفورت، مسقط رأسه. تظهر الصورة فتى فخورا وواعيا بنفسه. لكن عندما نمعن النظر، نلاحظ أنه لا يزال طفلا. كان فروم وهو فتى فخورا دائما بكونه ينحدر من عائلة يهودية أرثوذكسية متدينة ووجود بعض المفكرين اليهود المشهورين في

سلالته. و من أشهر أجداده كان هناك الرباني "راو" من فورتسبورغ، الذي كان في القرن التاسع عشر رئيس اليهودية الأرثوذكسية في الجنوب الألماني. وكان قد قطع وعدا على نفسه لدراسة التلمود. وقد كان مثال إريك فروم.

كان هذا الرباني يمتلك دكانا صغيرا للمواد الغذائية. كان يجلس

7-نص مداخلة د. راينر فونك، قمنا بترجمتها إلى العربية. فونك، يعمل في عيادة كمحلل نفسي بمدينة توبينغن الألمانية. محاضر زائر في عدة جامعات، رئيس الجمعية العالمية لإريك فروم ومدير أرشيف هذه الجمعية.

بين الدقيق و السكر و يدرس التلمود . و عندما كان يأتي زبونا ما ،
كان يقف لخدمته طالبا منه لماذا لا يذهب لدكان آخر ليشتري ملح.
لم يكن يريد أن يشغله أحد في دراسته وكان تاجرا غير جيد .
ويمكن قول نفس الشيء فيما يتعلق بإريك فروم .

كان فروم وهو طفل تلميذ خاله "لودفيك كراوسا" الذي كان
يعلمه التلمود والذي قضى خريف حياته في زنقة Liebigstrasse
بفرانكفورت . كان فروم وهو شاب ينتمي إلى دائرة الرباني
"نحيميا نوبل" و حتى وهو طالب بجامعة هايلبرغ ، فإن فروم كان
يذهب يوميا عند مدرسه "رينكوف".



تعبّر هذه الصورة أكثر من
أية كلمة أخرى عن العلاقة
التي كانت تجمع بين فروم
وأمه .تجر الأم وحيدها إريك
إلى صدرها (ثديها) قابضة
عليه وهي واضعة يدها
اليسرى على هامتها كتعبير
عن الإنتصار .

وقد قاوم فروم لمدة معينة
في حياته لكي يفترق من مثل
هذه الأم القابضة التي تقود إلى الإكتئاب .و كما سنرى ، فإن هذا
ليس هو الجانب الوحيد في علاقته بأمه .

كان والد فروم يحترف مهنة خمار ، على الرغم من أن أمنيته



كانت أن يصبح ربانيا كذلك.
كانت علاقته بابنه جد
متجاذبة. ambivalente.
توضح هذه الصورة جانبا
فقط من هذه العلاقة: يقف
الأب مستقيما بجانب
الإبن، و يحاول الطفل
تقليد والده.

كان إريك فروم يحس
بخوف أبيه عليه. عندما كان

فروم يتهيا للدفاع عن أطروحته في جامعة هايدلبرغ، أتى والده
ببالغ القلق، لأنه كان يعتقد أن فروم سيتحر له أنه لم ينجح في
الدفاع عن أطروحته. و قد مضى وقت طويل نسبيا إلى أن فهم
فروم بأن والده يعكس عليه إخفاقه.



لا تظهر هذه الصورة
العائلية لفروم في السابعة
عشرة من عمره بوضوح
العلاقة العائلية فقط، لكن
أيضا الجانب الآخر لعلاقة
فروم بأمه. بين الأب و الطفل
الواقفان باستقامة، هناك
الأم المفتخرة بابنها. كانت أم
فروم تتمنى أن يصبح ابنها

شخصية مشهورة كـ"باديرفسكي" عازف البيانو البولندي المشهور، أو مؤلف موسيقي أو رئيسا للوزراء. و يوضح هذا الفخر من جانب الأم لماذا كان فروم و هو تلميذ و طالب من بعد يمتلك فخرا ووعيا ذاتيا بنفسه. من طبيعة الحال لا يكون التعجب بالمرء شيئا جيدا دائما، لأن ذلك قد يقود إلى عدم تقبل نقد الآخرين.



بعد شهادة الأبيتور
-تعادل البكالوريا المغربية-
درس فروم القانون لمدة
موسمين بمدينة فرانكفورت،
ثم التحق في الموسم الجامعي
الصيفي لسنة 1919 بجامعة
هايدلبرغ، لكي يدرس هناك
السوسيولوجيا عند " ألفريد
فيبر "أخ "ماكس فيبر". لكن

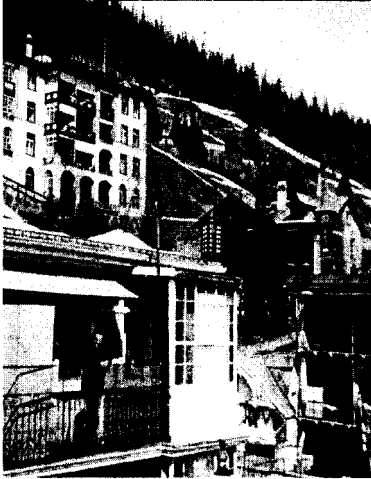
الإهتمام الرئيسي الأول لفروم كان يتمركز حول علم النفس الاجتماعي. ما كان يهم فروم هو ما الذي يدفع بالناس الذين يعيشون في نفس الظروف الاجتماعية و الإقتصادية التفكير والشعور والسلوك بنفس الطريقة. و لم يركز فروم انتباهه في هذا الإطار على المؤسسات الخارجية كالدولة و القوانين التي تفرض سلوكا متشابها للكثير من الناس، لكن على السلوكات و Ethos، الذي يفكر و يشعر و يسلك الناس طبقا له. و لكي يوضح ذلك فإنه عكف في أطروحته على دراسة وظيفة القانون اليهودي المعاش في تضامن اليهود المهاجرين، يعني الذين لم يكونوا

مضطوبطين من الخارج من طرف قانون دولة أو مجتمع للشعور والسلوك و التفكير بنفس الطريقة. وفي العمق، فإن فروم كان قد بدأ في أطروحته سنة 1922 حول "القانون اليهودي" عمله السيكو اجتماعي، على الرغم من أنه لم يكن في ذلك الوقت قد احتك بالتحليل النفسي.



أصبح فروم معروفا في ميدان التحليل النفسي عن طريق صديقتة " فريدا رايخمان " التي كانت تكبره بـ 11 سنة، و التي درست التحليل النفسي سنة 1922 في برلين على يد " هنس ساكس"، و التي أفنعتته بأن المرء بإمكانه أن يحرر الناس

من مكبوتاتهم عندما يستلقون على سرير المعالج النفسي، الذي يستمع لما يقولونه بجدية. استلّف الإثنان مالا من عند أقاربهما وفتحوا عيادة للعلاج النفسي معا سنة 1924 خاصة بالزبناء اليهود مع مراعات أوقات الأكل و أوقات الصلاة. و لم يكن العلاج مقصورا على الزبناء بل كان على منظفة المنزل و الطباخ و أصدقاء فروم و فروم نفسه أن يقومون بهذا العلاج كذلك. و بسبب حصص العلاج سقط فروم في حب " فريدا " و انتهى الأمر بزواجهما. وفي نفس الوقت تقريبا غادرا ممارسة طقوسهم الدينية اليهودية الصارمة. لم يدم جوازهما طويلا، ذلك أنهما افترقا سنة 1928



وتركا
عيادتهما
لأن اهتمام
الزبناء اليهود
كان منصبا
على الأكل
الكشري
أكثر من
سرير
العلاج.

ذهب فروم بعد ذلك إلى
برلين لكي ينهي دراسته في
التحليل النفسي.

أنهى فروم تكوينه سنة
1930 في معهد "كارل أبرهام"
ببرلين وفتح في نفس السنة
عيادته الخاصة. وفي نفس

السنة دعاه "ماكس هوركهامير"، انظر الصورة، للإلتحاق بمعهد
فرانكفورت للبحث الإجتماعي - ما يعرف بمدرسة
فرانكفورت- لكي يمثل التحليل النفسي وعلم النفس
الإجتماعي بهذا المعهد المتعدد التخصصات. و بهذا أصبح فروم
يسافر بين برلين وفرانكورت. وقام في معهد فرانكفورت
للبحث الإجتماعي بأول عمل تحليل نفسي ميداني. حاول فروم



أن يعرف عن طريق استمارة ما إذا كان الناس الذين يعتبرون أنفسهم يساريون يتوفرون كذلك على توجه سلوكي ثوري، أو ما إذا كان هذا الإلتناء السياسي الواعي في تناقض مع البنية غير الواعية لسلوكهم. و قد كانت نتائج هذا البحث مدهشة: لم تتعد نسبة المسؤولين التقايين و المسؤولين عن الحزب الإشتراكي الثوريين الحقيقيين % 15، كان الأمر غير مهم بالنسبة لـ % 70 و 10 كانوا يعملون عكس ما يقولونه. و قد دام عمل فروم بالمعهد المذكور إلى حدود سنة 1939.

مرض فروم في صيف 1931 بعد مدة وجيزة من فتح عيادته ببرلين و بداية عمله بفرانكفورت. فرض عليه مرض رئوي الرحيل لمدة 3 سنوات تقريبا إلى مدينة "دافوس" السويسرية للشفاء. و قد كان الوقت الذي قضاه في "دافوس" من بين الأوقات الجد خصبة بالنسبة لفكره. فقد طور هنالك محاولته للجمع بين السيكلوجيا و السوسيلوجيا نظريا و منهجيا و بدأ العمل لمحاولة الجمع بين التحليل النفسي و الماركسية.

و عندما أصبح قادرا على السفر سنة 1934 هاجر إلى الولايات المتحدة الأمريكية هاربا من النازية.

فتح فروم عيادته بنيويورك و بدأت علاقته مع "هاري ستاك سوليفان"، كان يقضي الكثير من الوقت مع "كارين هورني" دون أن يحدث بينهما زواج، واستمر نشاطه في معهد الدراسات الإجتماعية، الذي رحل بدوره سنة 1934 بفضل مساعدة فروم إلى نيويورك كذلك. طور فروم في نيويورك فهمه للتحليل النفسي



مؤكداً على أن النشاط النفسي للإنسان ليس محكوماً من طرف الغرائز، لكن من طرف حاجيات الإنسان وعلاقته بالواقع و بالناس الآخرين و بنفسه و على التصورات التي تعطي لحياته معنى.

تعرف فروم سنة 1942 على "هيني

جرلاندا"، التي حاولت مع "فالتر بن يمين" عبور الحدود الفرنسية الإسبانية عن طريق مدينة "بور بو"، لكن ألقى القبض عليها وأرجعت إلى فرنسا التي كانت آنذاك تحت السيطرة النازية. وفي هذا الوضع انتحر "بنيمين" بينما نجحت "هيني جوردان" من الفرار عن طريق لشبونة اتجاه نيويورك. وفي سنة 1944 تزوج فروم للمرة الثانية بـ "هيني جورلاندا". وأصبح فروم منذ سنة 1941 بعد نشر أول كتاب له "الخوف من الحرية" مشهوراً كمحلل نفسي للمجتمع. و عوض أن يستمر في تطوير مساره العلمي، عكف فروم على الإعتناء بزوجته التي لازمت الفراش لمرض مفاجئ. و من أجلها (بسبها) هاجر فروم سنة 1950 إلى المكسيك. لكن المناخ هناك لم يساعد على تحسن صحتها مما دفع بـ "هيني" في يونيو 1952 وضع حد لحياتها.

تزوج فروم للمرة الثالثة في ديسمبر 1953 من الأمريكية "أنيس فريمان"، و قد عاش معها سعيداً إلى أن وافته المنية سنة 1980. وقبل هذا كان فروم قد بدأ في المكسيك في تكوين المحللين النفسيين وأسس الجمعية المكسيكية للتحليل النفسي و فتح سنة



معهد 1963

للتكوين

بالمكسيك . نشر

سنة 1950 كتابه

"التحليل النفسي

و الأخلاق" ،

حيث قدم نظرية

الطباع من وجهة

نظره ، تبعه سنة 1947 كتابه: "التحليل النفسي و الدين " و سنة 1951

"الخرافات والأساطير و الأحلام " و في سنة " 1955 طرق للخروج

من مجتمع مريض" ، و في سنة 1956 نشر الكتاب الذي ساهم في

شهرته العالمية: "فن الحياة".

في المكسيك ربط علاقة مع البوذي الزين " دايسيس

سوزوكي" ، الذي نرى هنا مع "أنستيو أراموني" "أقصى اليمين



(و"أنيس فروم" و في الأمام

نشاهد كاتبة "سوزوكي".

وقد قاد اهتمام فروم

بالبوذية الزينية -التأمل

للوصول إلى الجمال- إلى

فهم جديد للاشعور .

ويعتبر هذا الأخير في نظر

فروم ما يميز الإنسان بكامله

بكل جوانبه الإيجابية



والسلبية وإمكانياته،
أما الوعي فهو فقط ما
يسمح به المجتمع،
واللاشعور - أو
اللاوعي - الذي يصبح
شعورا، يكتب جزئيا.

وعلى الرغم من أن

المقر الرئيسي لسكنى فروم بين 1950 و 1974 كان بمدينة المكسيك
وبمدينة "كويرنباكا" منذ سنة 1957، فإن فروم كان يرجع مرتين في
السنة في الربيع وفي الخريف إلى الولايات المتحدة الأمريكية
لإلقاء محاضراته ودروسه. وقد أصبح فروم شيخ روجي Gourou
بالنسبة للأمريكيين اليساريين. ولم تكن هناك المائة فقط التي كانت
تحضر محاضراته، بل الآلاف.

ومن بين أسباب هذا النجاح الهائل في أمريكا هو كون فروم
كان قد التزم منذ الخمسينات سياسيا. كان من بين مؤسسي أكبر
الحركات السلمية الأمريكية سنة 1957، حرر البرنامج الانتخابي
للحزب الإشتراكي الأمريكي سنة 1960، ترجم النصوص المبكرة
لماركس إلى الإنجليزية، كان أول محلل نفسي أخذ موقفا سياسيا
علنيا لأحداث عصره، انتقد السياسة الخارجية الأمريكية المتعلقة
بمشكل برلين والأزمة الكوبية وإعادة تسليح ألمانيا ودور الصين
إلخ. كانت له علاقة بالإشتراكيين في المعسكر الشرقي وفي
المعسكر الغربي وكذا مع ممثلي المسيحية الإنسانيين كما تظهر
الصورة هنا في محاضرة حول السلام سنة 1967 بجونيف. وقد

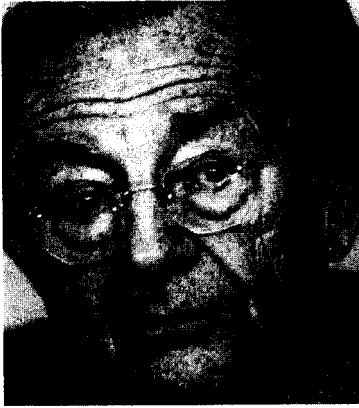
شجع عام 1968 المرشح الاشتراكي للرئاسة الأمريكية "أوجين ماك كارتني". "و لم يدخر فروم أي جهد للتعريف بخطر السلاح النووي. ولم يردع النشاط السياسي فروم إلا الوعكة القلبية التي أصابته سنة 1966، بدأ على إثرها يعتزل السياسة ليركز قوته لمدة خمسة سنوات على دراسة مسألة العدوانية و الهدم الإنساني. و في سنة 1973 نشر نتائج بحثه في شكل كتاب تحت عنوان: "تشريح الهدم الإنساني". "و منذ 1967 كان فروم يرجع مرات عديدة إلى أوروبا في بداية الصيف، و في سنة 1974 قرر ألا يعود إلى المكسيك لكي يقضي ما تبقى من حياته هو وزوجته "أنيس" في مدينة لوكارنو بسويسرا.



وقد تميزت نهاية حياة فروم بلوكارنو ببداية تأليف كتابه: "الإمتلاك أو الوجود". "و يعني التوجه الوجودي لمس كل وجوه الوجود الذاتي -الشخصي- بما في ذلك "نصف الشعور" واللاشعور. وقد عكف في هذه السنين على

ممارسة اليوغا عند البوذي "نيانابونيكا ماهاتيرا" و اهتم بتحليل أحلامه.

و شرط أخذ الآخرين محل الجد هو أن يأخذ المرء نفسه محل الجد و يركز على قواه الداخلية ليفهم الآخرين. و ليست هناك



وسيلة أحسن لإظهار التوجه
الوجودي لفروم و هو في
الشيخوخة أحسن من هاتين
الصورتين التي التقطها مصور
من مصوري المجلة الألمانية
"ستيرن" سنة 1979 بألة تصوير
خاصة. مرت بين الصورة
الأولى و الصورة الثانية

واحدة ملتقطتان وضع فروم و هو مغمض عيناه لبرهة. و إذا ركز
المرء تفكيره على هذه الصورة و عيناه مغلقتان، فإنه سيرى إنسانا
مركزا على نفسه، و عندما ينظر المرء للصورة و عيناه مفتوحتان،
فإن المرء يلاحظ كيف أن فروم بنظره "يقفز" أمام عيني الملاحظ. من
باستطاعته أن يركز على نفسه، بإمكانه كذلك أن يركز على
الآخرين. و ليس هذا انطباعي وحدي أنا الذي رافقته ثمانية سنين
في حياته، بل وجهة نظر كل الذين كانوا يعرفونه شخصيا.

يلخص هذا الكاريكاتور الذي قام به المكسيكي "أسفالدو" سنة
1980 شخصية فروم بالكثير من الدقة. ما يلاحظ لأول وهلة هو
الرأس الكبير لفروم: و بالفعل فقد كان فروم عالما كبيرا و لم ينقطع
عن التعلم حتى في شيخوخته. و كجد والده، فإن الدراسة كانت
الشغل الرئيسي في حياته. من طبيعة الحال لم يركز على التلمود
فقط كجد والده، لكنه اهتم بأعماق النفس الإنسانية، ولهذا
السبب نلاحظ الأذن الكبيرة لفروم في هذا الكاريكاتور. فقد
حاول عن طريق هذه الأذن العلاجية أن يصغي لما يقوله اللاوعي



والكبت المجتمعي، ليس
فقط عن طريق مرضاه، لكن
عن كريق التطورات
المجتمعية والثقافية.

أما الجسد بالمقارنة مع
الرأس فإنه صغير وغير
مهم، وسأضن أن صاحب
هذا الكاريكاتور قد فهم
جيذا بأن فروم لم يكن يعير
لجسده إلا القليل من
الأهمية، ومن المحتمل أن

هذا هو سبب تعرضه لكل الأمراض التي أصابته. يمسك فروم في
يده اليمنى بثلاثة كتب له وفي اليد اليسرى بباقة ورد كرمز للحب،
يريد فروم أن يعطيه للآخرين. أما خطواته الحثيثة الواعية فإنها تترك
آثار، وهي نفس الآثار التي تميز مؤلف "فن الحب"، والتي تريد
أن تقول لنا بأن الحب وحده هو الذي يساعدنا على النمو والتطور.